موائد الصالحين

من وحى الحج

للأستاذ مختار صبرى

خلفنا وراءنا الأهل والمال والولد ، وحملنا متاعنا والزاد ، وخرجنا بفهمنا العليل ، وإيماننا القليل نبتغى فضلا من الله ورضوانا ، وعفوا ومغفرة ؟ وسارت بنا الباخرة تمخر البحر الذى قهر فرعون قديما فابتلعه بينما خشع وأطاع موسى عليه السلام يوم أدبه بعصاه فانفلق وأفسح له الطريق .

وتعلقت أبصارنا بالسماء ، وأفئدتنا تسبح بحكمة القادر سبحانه .

وأبتدأت أرواحنا تستيقظ ، وعقولنا تعى ، وأفهامنا تتنبه .

وأبتدأنا نشعر بما نحن فيه من فقر فلا تقوى معنا تصلح زادا لأرواحنا ولا إيمان يكفينا لنتحصن به . ولا يقين يقينا من نوائب الدنيا ووساوس الشيطان .

وظلت أبصارنا تجوب الأفق مفكرة ، وتصعد إلى السماء مسبحة .

وتهبط إلى الماء مؤمنة خاشعة .

وبين الفكر والتسبيح والخشوع تهذبت أرواحنا ودخلت فى عالم اليقين والتقوى .

وكلما سارت الباخرة كلما زاد اليقين وزادت التقوى .

وتزودت الروح بخير الزاد ، وأى زاد خير من التقوى « إن خير الزاد التقوى . فاتقون يا أولى الألباب »

وهبطنا أرض جدة ، وأنتهى درس البحر - ولقد أدى البحر رسالته .

وأبتدأت رسالة الأرض التى تجردت من زينة الدنيا وزخرفها ، فهزتنا نسائم الذكرى . وأنتبهنا وأنتبهت مشاعرنا : ودخلنا أرض الحجاز بأرواحنا .

وسارت السيارت فى الوادى الأغر الأزهر ، وأشرقت الوجوه بنور براق ، وثابت الأرواح «

وتطهرت النفوس ، وانعقدت ابتسامة عميقة على الشفاه ، ولمعت عيون ، ودمعت عيون . وكنا نسابق السيارة بأبصارنا ونخترق الأفق بأرواحنا ، ونزاحم الريح بأشواقنا .

وما عرفنا الليل ولا النهار ، ولا القمح ولا الماء ، ولا النوم ولا اليقظة ، ومالنا وهذا ، فقد تعلقنا بغير هذا ، ولماذا . . . ؟

لأنه محمد . . .

صلى الله عليك ياسيدى يارسول الله :

والسلام عليك ياحبيبى يارسول الله :

* * *

وكلما تقدمت بنا السيارة ، كلما ارتجفت القلوب رهبة وإجلالا ، وتحية واحتراما ، فكانت الدليل الذى يقيس لنا الطريق ، ويطوى لنا الأبعاد . ويقول لنا . . . هنا كانت وهناك كان . . . .

فهذه أرض شرفها المصطفى صلى الله عليه وسلم وسار فيها هاديا وداعيا ، وصابرا ، ومجاهدا ، وشكورا . .

وذلك ميدان ساهم فى المجد الذى ورثناه .

وتلك قرية جاهد أهلها فى الله حق الجهاد .

وهذه أحداث تشهد الله والناس على بغى الباغين وبطولة المؤمنين وهنا بدر . . وهناك أحد . .

فى كل بقعة تاريخ . . . وفى كل مكان ذكرى .

* * *

وبينما نحن على هامش هذا التاريخ العطر والذكرى الخالدة .

اهتزت القلوب هزة الفرح .

وصرخنا صرخة المشتاق .

هذه مدينة النور .

هذه يثرب الحبيبة .

وظهرت القبة الخضراء .

واخترقت أنوفنا رائحة عطر عجيب ليس من عطور الأرض . . . . .

ولماذا ؟

إنه محمد .

صلى الله عليك ياسيدى يارسول الله .

للحديث بقية